مها سيد عبدالرحمن
قصة قصيرة
فندق البِيش

الجزء الأول

"لايف غامض يوثق مقتل البلوجر الشهيرة كارمن رأفت!"

خبر صادم تم تداوله على صفحات السوشيال ميديا بكثافة عالية في الساعات الأخيرة، ليجبر الأجهزة الأمنية على التحرك السريع للتحقيق في الأمر، فكانت المفاجأة!

****

في اليوم السابق.....

تصاعد رنين هاتف يحيى معلناً وصول رسالة عبر تطبيق الواتساب، ألقى نظرة سريعة ليستوقفه كون الرقم غير مسجل على هاتفه، قرأ الرسالة في عدم اكتراث ظناً منه أنها مجرد دعاية، لكن محتوى الرسالة أثار انتباهه:

"عرض خاص!

إقامة مجانية لمدة ثلاثة أيام شاملة الوجبات (إفطار، غداء، عشاء) كدعاية لفندق "البيش" الذي تم افتتاحه منذ أيام.

ما عليك سوى تقديم هذه الرسالة عند وصولك للتمتع بالإقامة المجانية بعد تسجيل بياناتك بموقع الفندق على الرابط التالي:

"....."

ملاحظات:

-الدعوة لشخص واحد فقط.

-الدعوة صالحة لمدة 24 ساعة فقط! يجب تسجيل الدخول إلى الفندق خلال يوم واحد!

نتمنى لكم إقامة سعيدة"

**

أعاد يحيى قراءة الرسالة ثانية ليتأكد من صحة ما فهمه، فتضاعفت دهشته، هل هو محظوظ إلى تلك الدرجة؟! لم يكن يتمنى في حياته شيء أفضل من هذا العرض في مثل ذلك الوقت، حيث أنهكته مشاكل العمل وظروف الحياة، على الرغم من أنه يعيش بمفرده، لكن هل ذلك العرض حقيقي فعلاً؟!

لم يضع المزيد من الوقت في التفكير وضغط رابط الفندق ليتصفحه بعناية، يعرض الموقع عدداً من صور الغرف والمطعم، وصور لحديقة واسعة وحمام سباحة، ليس فخماً للغاية لكنه نظيف ومرضي إلى حدٍ كبير، لكن الغريب عدم وجود أيه صورة لمبنى الفندق من الخارج، والأغرب كان عنوانه المدون على الموقع، على الطريق بين القاهرة والإسكندرية، زوى يحيى بين حاجبيه ومط شفتيه متعجباً وهو يقول محدثاً نفسه:

-"لم قد يفتتح أحدهم فندقاً في مكان كهذا؟ لا عجب إن لم ينزل به أحد، لكن لا بأس لا يهمني المكان، يكفي كونه مجاني!"

واعتبرها فرصة رائعة لإجازة قصيرة وسط دوامة الحياة، وبدون تردد قام بتسجيل بياناته على الموقع والتي لم تكن سوى الاسم والسن ورقم الهاتف والعمل فقط.

بعدها سارع بطلب إجازة طارئة من عمله، وابتسم في رضا وهو يتهيأ لتلك العطلة التي هبطت من السماء لتشعره بأنه محظوظ للمرة الأولى في حياته!

****

كارمن رأفت، اسطورة مواقع التواصل، تلك الفتاة العشرينية التي حظيت بمتابعة الملايين خلال أشهر قليلة، لما تعرضه من فيديوهات متنوعه نالت اهتمام الكثيرين، تتسم بمزيج فريد من الغموض المغلف بالكوميديا السوداء، تلقى هاتفها ذات الرسالة لعرض الإقامة في فندق "البيش"، تجاهلته في البداية قبل أن تخطر ببالها تلك الفكرة، ستذهب إلى هناك دون أن تخبر أحداً عن وجهتها، بالأساس والداها يعيشان خارج البلاد وأختها الوحيدة لا تكترث لأمرها كثيراً، تعيش كل واحدةٍ منهما في جزيرة منعزلة رغم إقامتهما بالمنزل ذاته، تابعت رسم خطتها ستغلق هاتفها، تثير ريبة متابعيها لاختفائها الغامض، وتتابع ما سيحدث من هاتفها الآخر ذو الحساب المزيف، ثم تعود بفيديو عن ذلك المكان المريب الذي قضت فيه الأيام القلائل

الماضية -هكذا ستوهم المتابعين- والذي توثق به تجربتها المثيرة، فتنهال عليها الإعجابات والتعليقات وتتضاعف نسب مشاهدة صفحتها، "فكرة عبقرية كعادتك!" غمغمت بتلك العبارة وهي تفتح الرابط لتسجل بياناتها في حماس.

*****

في ظهر اليوم التالي وصل يحيى إلى موقع الفندق مستخدماً تطبيق ال GPS متبعاً الإحداثيات التي طلبها فأُرسلت له عبر الواتساب، بعد أن فشل في إيجاد موقع الفندق بنفسه.

ارتفع حاجبيه في دهشة حينما وقعت عيناه على مبنى الفندق والذي لم يكن سوى نزل صغير من طابقين يشبه الفيلا، يبعد بمسافة ليست بالقليلة عن الطريق الرئيسي، تحيط به حديقة واسعة بها بعض الأشجار وحمام سباحة صغير، شعر بإحباطٍ شديد فالمنظر كان أقل من توقعاته بكثير، زفر في ضيق لكنه حاول الحفاظ على حالته المزاجية السعيدة ممنياً نفسه بأن الوضع سيكون أفضل بالداخل، غادر سيارته وأثناء سيره نحو باب الفندق اخترق أذنيه صوت سيارة مسرعة قادمة من بعيد، استوقفه الفضول ليرى من سينزل منها، وقفت السيارة القادمة على مسافة قريبة من سيارته وترجَّل منها شاب يبدو في أواخر العشرينات من العمر، طويل القامة، ذو شعرٍ بني ناعم لا يكف عن تصفيفه بأصابعه، يرتدي نظارة شمسية، يسير في زهو يجر خلفه حقيبة صغيرة، تابع يحيى سيره نحو باب الفندق الذي كان مفتوحاً، وقف لوهلة يتأمل المكان من حوله، ردهة واسعة مربعة الشكل، بها ثلاثة أطقم صغيرة من الكنب، وفي الزاوية الشرقية منها مكتب صغير تجلس خلفه فتاة طويلة ونحيلة على نحوٍ لافت، ذات بشرة تميل للاصفرار بشكلٍ ملحوظ وعينان واسعتان تطل منهما نظرة غير مفهومة، تقدم نحوها يحيى بشيءٍ من الارتياب قبل أن يرسم ابتسامة مصطنعة على وجهه وهو يخاطبها قائلاً:

-" أنا يحيى سجلت اسمي بالأمس للحصول على إقامة مجانية"

قاطعته قائلةً:

-"أهلا بك أستاذ يحيى عبد الظاهر، غرفتك جاهزة"

ثم أخرجت من الدرج أمامها مفتاح مرفق بميدالية مكتوب عليها رقم (101)، تعجب يحيى من ملامحها الجامدة وعدم طلبها لأية إثباتات تؤكد كونه هو كبطاقة الهوية أو الرسالة على الهاتف، ثم ضغطت زر جرس أمامها فخرج من باب في الناحية الغربية من الردهة رجل عجوز، كث الحاجبين يتوسط وجهه أنف ضخم، انفرجت شفتاه عن فم شبه خالي من الأسنان، ليقول بصوته الأجش:

-"تفضل يا أستاذ سأوصلك إلى غرفتك"

في تلك اللحظة دخل الشاب الذي رآه يحيى بالخارج إلى الردهة، فحدقت فتاة الاستقبال إلى الرجل العجوز وتبادلا نظرة مريبة، سارع بعدها بالتحرك إلى الأعلى عبر سلالم في الناحية الغربية من الردهة، مشيراً إلى يحيى ليتبعه وقد بدا الضيق على ملامحه، شعر يحيى بالتوتر وأسرع الخطى خلفه، وهو يلوم نفسه على عدم مغادرته في الحال، اقترب من الرجل العجوز وهو يقول في لطف:

-"اسمي يحيى ما اسمك؟"

رمقه الرجل بنظرة بترت الحروف على شفتيه قبل أن يجيبه باقتضاب:

-"ربيع"

ازدرد يحيى ريقه وهو يجيبه:

-"عاشت الأسامي يا عم ربيع"

تجاهل ربيع عبارته وهو يشير إلى باب الغرفة على يمينه قائلاً:

-"غرفة 101"

وضع المفتاح في قفل الباب وأداره ثم التفت ليشكر عم ربيع لكنه لم يجده، تلفت حوله يميناً ويساراً باحثاً عنه وهو يتساءل في دهشة:

-"كيف نزل بتلك السرعة؟!"

****

"مهاب عزيز"

قالها الشاب معرفاً عن نفسه إلى فتاة الاستقبال التي أخرجت بدورها مفتاح غرفته، ووضعته على الطاولة أمامها قائلة:

-"تفضل مفتاح غرفتك أستاذ مهاب، سيأتي ربيع قريباً ليوصلك إليها"

لم تكد تنهي عبارتها حتى ظهر ربيع ينزل الدرج مسرعاً وهو يتجه نحوه ليحمل حقيبته، ثم استدار ليعود إلى الدَّرَج قائلاً:

-"تفضل"

سار خلفه مهاب صامتاً حتى وصلا إلى الغرفة رقم (105)، ابتسم مهاب ووضع في يد ربيع بعض النقود قبل أن يدخل إلى غرفته، وقف لثوان يتأمل الغرفة الصغيرة، لم تكن سيئة على الإطلاق، سرير وتلفاز وثلاجة صغيرة، وحمام، ألقى بجسده على السرير وهو يحدث نفسه في سرور:

-" مكان مثالي لتنفيذ الخطة!"

****

وصلت كارمن رأفت إلى الفندق نحو الساعة الواحدة ظهراً، دخلت إليه تتبختر في خيلاء بصفتها شخصية مشهورة سيقلب وجودها المكان رأساً على عقب، لكنها صدمت حينما قابلتها فتاة الاستقبال بملامحها الباردة ونظراتها المتجهمة، التي تفصح عن كونها لم ترها من قبل قط، لكنها شعرت ببعض الرضا حينما بادرتها الفتاة قائلةً:

-"مرحباً، آنسه كارمن"

أجابتها في غرور:

-"ظننت لوهلة أنكِ لا تعرفينني"

ردت قائلةً:

-" أنا حقاً لا أعرفك آنسة كارمن فقط قرأت اسمك المسجل على موقعنا، فأنتِ الفتاة الوحيدة التي قبلت عرض الإقامة المجاني"

امتقع وجه كارمن وتطاير الغضب من عينيها وهي تقاطعها:

-" غير مهم! أريد أحداً ليأخذ حقائبي من السيارة"

سارعت الفتاة تجيبها:

-"حالاً سيكون ربيع في خدمتك!"

غمغمت كارمن في تهكم:

-"ربيع؟! وماذا يكون اسمك أنتِ؟"

أجابتها بالنبرة الباردة ذاتها:

-"حورية"

انطلقت من حلقها ضحكة هازئة وهي تغمغم محدثةً نفسها:

-"أشعر بأني قد وقعت في فجوة زمنية"

وضعت حورية مفتاح الغرفة على الطاولة، لتحدق فيه كارمن في تعجب، وقد كان مفتاحاً معدنياً صغيراً لا يمت لمفاتيح غرف الفنادق بأي صلةٍ تذكر، زفرت في نفاد صبر وهي تضعه في جيبها بعد أن ألقت نظرة خاطفة على رقم الغرفة المكتوب على الميدالية المرافقة له والذي كان (201)، أتى ربيع مسرعاً ليساعدها في حمل الحقائب، فأشارت إليه ليتبعها إلى الخارج حيث تقف سيارتها ليأخذ الحقائب منها.

تبادل ربيع وحورية نظرة ذات مغزى قبل أن يتبع كارمن ثم التفت فجأة إلى الأعلى لينتفض جسده فزعاً حينما وجده يحدق فيه فأطلق العنان لقدميه خلف كارمن نحو الخارج!

الفصل الثاني

استلقى يحيى على سريره وفتح التلفاز محاولاً الاسترخاء حتى موعد الغداء، بعد ذلك سينزل إلى حمام السباحة، ثم سيحاول التعرف على ذلك الشاب الذي رآه حين وصوله، سيكون من المفيد وجود صحبة لطيفة في وقتٍ كهذا، كانت تلك خطته لقضاء يومه الأول بالفندق، لكنه غضن جبينه في انزعاج حينما تعالت تلك الجلبة القادمة من الأعلى فوق رأسه تماماً، يبدو أن هناك من يسكن تلك الغرفة، ويظهر جلياً أنه شخصٌ مزعج، لا يكف عن تحريك الأثاث دون اكتراث لوجود نزلاء غيره في المكان، بضيقٍ شديد التفت نحو الهاتف الداخلي ليطلب فتاة الاستقبال ويخبرها بانزعاجه من نزيل الغرفة فوقه، انطلقت من حلقه شهقة دهشة حينما وجد الهاتف يرن قبل أن يلمسه، رفع السماعة فجاءه صوتها تقول:

-" أنا حورية، من استقبال الفندق أردت إبلاغك أن موعد الغداء سيكون في تمام الثانية مساءً بداخل المطعم في الدور السفلي، لا يسمح بتناول الطعام في الغرف، وسيغلق المطعم في تمام الثالثة، بالهناء والعافية"

ثم أغلقت السماعة قبل أن ينطق بحرف، زفر في ضيق معبراً عما يعتل به صدره، فطريقتها غير مريحة على الإطلاق، تململ في سخط وهو ينظر إلى الساعة التي تسبق الثانية بربع ساعة فقط، ثم غمغم في خفوت:

-" لا بأس فأنا جائع بالأساس، أتمنى أن يكون الأكل جيداً وإلا ستكون الإقامة هنا بلا فائدةٍ تذكر!"

****

أنهى مهاب تلك الرسالة التي كتبها بدقة شديدة، ثم أرسلها إلى والدته، بعدها تلقى ذات الاتصال من حورية، فقام يعدل هيئته ويمشط شعره استعداداً للنزول إلى المطعم، تصاعد رنين هاتفه فابتسم دون أن ينظر إلى الاسم المدون على شاشته لا شك أنها والدته قد قرأت الرسالة، تجاهل الرد عليها وغير إعدادات الهاتف إلى الوضع الصامت، قبل أن يضعه في جيبه ويغادر غرفته نزولاً إلى المطعم.

لفت انتباهه أنه لم يصادف شخص يذكر أثناء طريقه وحتى وصوله إلى المطعم، يبدو الفندق خالياً تماماً، دخل المطعم فوجد خمس طاولات بجوار كل منها كرسيين،

جلس على إحداها وهو يتلفت حوله بحثاً عمن سيحضر له الطعام، ظهر عم ربيع في تلك اللحظة خارجاً من بابٍ آخر للمطعم يبدو أنه يُؤدي إلى المطبخ، يحمل في يده صينيه عليها ثلاثة أطباق في أحدها الوجبة الرئيسية والثاني سلطة والثالث بعض الحلوى وكوب من الماء، لم يبدُ الرضا على وجه مهاب مطلقاً، لكنه أومأ برأسه مجاملاً العم ربيع الذي قال بدوره:

-"إذا اردت أي شيئاً إضافياً أخبرني"

شكره مهاب وبدأ في الأكل، في ذلك الوقت دخل يحيى إلى المطعم فوقعت عينه على مهاب يأكل في نهم، تردد قليلاً لكنه اتخذ قراره واتجه نحوه قائلاً:

-"مرحباً أنا يحيى هل بإمكاني الانضمام إليك؟"

بابتسامة مرحة أجابه مهاب وهو يشير إلى الكرسي أمامه:

-"بالتأكيد أشكرك على ذلك فقد بدأت أشعر بالملل، وأنا مهاب"

جلس يحيى أمامه وبدءا يتجاذبا أطراف الحديث ويتعرفان على بعضهما البعض، لم تمضِ دقائق حتى وصل ربيع يحمل الطعام الخاص بيحيى استمرا في متابعة تناول الطعام والحديث لثلث ساعة إضافية، قبل أن تصل كارمن إلى المطعم وهي تتأمله بازدراء، قبل أن تقرر الجلوس على الطاولة البعيدة عنهما، ما أن لمحها مهاب بعينه حتى تجاهل حديث يحيى تماماً وانتفض واقفاً وهو يتحرك نحوها قائلاً:

-"غير معقول! كارمن رأفت شخصياً هنا!"

راقت ردة فعله لها كثيراً فقد أرضت غرورها بعد ذلك التجهم الذي لاقته من حورية، فابتسمت له في ثقة وهي تجيبه:

-" أهلاً بك"

تابع حديثه في حماس:

-"أنا مهاب عزيز من أشد المتابعين لكِ"

أجابته في اقتضاب:

-"شكراً لك، أنا هنا لأحصل على قسطٍ من الراحة والهدوء، ولا أريد أن يعلم أحد بمكاني نهائياً من فضلك"

أجابها في ارتباك:

-"بالطبع أفهم ذلك لا تقلقي"

وصل ربيع بالطعام فاستأذنته لتأكل، فتركها وعاد إلى طاولته حيث كان يحيى يتابع ما يحدث في سخطٍ شديد، ولم يعد يشعر بالرغبة في متابعة الحديث مع مهاب، فقرر أن ينهي طعامه سريعاً ثم يصعد إلى غرفته.

رمقته كارمن بنظرةٍ تقطر حنقاً فهي لا تطيق أن يتجاهلها أحد هكذا، كان بإمكانه أن يلقي التحية على الأقل، لكنها تظاهرت بعدم الاكتراث، وتابعت تناول طعامها.

تعالت دقات الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط الشمالي لردهة الاستقبال معلنةً عن تمام الثالثة، خرج ربيع مسرعاً من باب المطبخ وأغلقه بالفتاح قبل أن يخبرهم بانتهاء وقت الطعام ثم غادر المطعم، تطايرت الدهشة من أعينهم وهم يتبادلون نظرات الحيرة من غرابة ما يحدث، أراد يحيى أن يخفف من حدة الموقف بقوله:

-"لكل مكان قوانينه ومواعيده، طالما قبلنا بالمجيء فعلينا الالتزام بها وسأبدأ بنفسي"

أنهى عبارته وهو يتحرك باتجاه باب المطعم، تعجب حينما لم يجد حورية مكانها، كانت الردهة خالية تماماً وباب الفندق مغلق، سمع صوت خطواتٍ بالأعلى عند ممر الغرف، صعد الدرج واتجه إلى غرفته بخطواتٍ حذرة، فتح باب الغرفة وتجمد مكانه لثواني محاولاً التأكد مما تراه عيناه!

****

استغل مهاب فرصة خلو المكان وجلس بجوار كارمن دون استئذان محاولاً تبادل الحديث معها، سيحصل على شهرةٍ واسعة إن قامت بنشر صورة تجمعهما، بادرها قائلاً:

-"أستغرب خلو الفندق هكذا لا يبدو وجود أحدٍ سوى ثلاثتنا"

ابتلعت ما بداخل فمها من طعام وهي تجيبه:

-"لا أرى شيئاً غريباً! فندق في مكان كهذا من الطبيعي أن يكون خالياً خاصةً مع كونه لم يفتتح سوى من أيامٍ قلائل، لولا تلك الدعوة لما عرفه أحد، قد يصل نزلاء جدد في الأيام المقبلة"

حاول استمالتها مغيراً دفة الحديث:

-"سيُجن متابعيك إن طال غيابك عنهم، فقد اعتادوا ألا يمر يوم دون أن تُطِلّي عليهم أكثر من مرة"

ابتسمت في زهو وقد تأكدت من كونه من متابعيها:

-"أعلم هذا، ولذلك سأُعد لهم فيديو يليق بعودتي بعد الغياب، قد أحتاج مساعدتك في إعداده"

تهللت أساريره وكان هذا ما يرنو إليه من البداية، فأجابها في حماس:

-"بالطبع أنا بأمرك"

اتسعت ابتسامتها لكنها ما لبثت أن تلاشت حينما دخل يحيى إلى المطعم راكضاً، ممتقع الوجه يمسك في يده ورقة، يلتقط أنفاسه بصعوبة ويقول بصوتٍ متهدج:

-"شيء غير طبيعي على الإطلاق يحدث، أو بالأحرى سيحدث! ليس وجودنا هنا صدفة، بل هو مقصود ومدبر، لقد تم استدراجنا!"

أطلت نظرات القلق من عيني مهاب، بينما أتاه رد كارمن متهكماً:

-"ما هذا الهراء الذي تقوله؟! جئت إلى هنا بكامل إرادتي وكان بإمكاني الرفض وعدم المجيء"

قاطعها مهاب موجهاً حديثه إلى يحيى:

-"ما الذي دفعك لقول هذا؟!"

تردد يحيى قليلاً قبل أن يجيبه:

-"دخلت غرفتي فوجدت هذه الورقة على الأرض، مكتوب بداخلها:

(يحيى عبد الظاهر/ آثرت الصمت حينما كان ينبغي الكلام وقد حان وقت دفع الثمن!)"

ارتفع حاجبي مهاب وهو يعقب بقوله:

-"لم أفهم شيئاً!"

أخذ يحيى نفساً عميقاً ثم رد قائلاً:

-"ولا أنا لكنه شيء يبعث على القلق!"

قالت كارمن بنبرةٍ بارده:

-"السؤال الأهم هو من وضع هذه الورقة؟ فربيع كان في المطبخ وغادر المطعم قبلك بدقائق معدودة"

صاح قائلاً:

-"حورية! فأنا لم أجدها حين خروجي من هنا"

دخلت حورية المطعم في تلك اللحظة وهي تقول بوجهها المتجهم كالمعتاد:

-"أخبرتكم أن المطعم سيتم إغلاقه في تمام الساعة الثالثة، والساعة تشير إلى الثالثة والربع، من فضلكم غادروه الآن"

أجابها يحيى في مزيجٍ من الحيرة والعصبية:

-"هل تظنيننا أغبياء إلى تلك الدرجة، تصعدين إلى الأعلى وتفتحين غرفتي لتضعي هذه الرسالة ثم تتحدثين وكأن شيئاً لم يكن؟!"

صمتت حورية وأمارات عدم الفهم تظهر جليةً على وجهها، ثم أجابته قائلةً:

-"أنا ممنوعة من الصعود إلى الأعلى بأمرٍ من السيد راجح مندور صاحب الفندق"

قاطعها يحيى في انفعال:

-"كاذبة! خرجت من المطعم ولم أجدك"

-"كنت في غرفتي الخاصة فموعد استراحتي من الثانية إلى الثالثة، وغرفتي بجوار غرفة ربيع في الطابق السفلي"

قال مهاب مستفهماً:

-"هل يوجد طابق أسفل الطابق الأرضي؟"

أجابته:

-"نعم! ننزل إليه من سلم خلف باب صغير في الردهة"

-"ومن يقوم بتنظيف الغرف إذن؟" سألتها كارمن

-"لا أعلم فوظيفتي تقتصر على استقبال النزلاء فقط، وتسليم المفاتيح، وكان الأمس هو أول يوم عملٍ لي هنا، أعتقد أن عم ربيع عنده إجابات أسألتكم"

تركتهم عبارتها في حالة من الحيرة الشديدة، قبل أن تقطع صمتهم بقولها:

-"من فضلكم غادروا المطعم الآن، فأنا مسئولة عن تطبيق نظام الفندق ولا أريد أن أفقد عملي الذي بدأته للتو"

بخطواتٍ مترددة غادر ثلاثتهم المطعم استجابةً لطلبها، وجلسوا على إحدى الكنبات في الردهة، قال يحيى هامساً:

-"ليس لدي أدنى شك أن شيء غامض يحدث هنا، أعتقد أن من الأفضل لنا المغادرة في هدوء"

أومأ مهاب برأسه إيجاباً وهو يغمغم:

-"أتفق معك في الرأي رغم أن هذا سيفسد خطتي"

ثم تدارك ما قاله سريعاً:

-"أعني خطتي التي أعددتها للاستجمام والراحة"

مطت كارمن شفتيها وهي تعقب بدورها:

-"إذن سأرحل أنا أيضاً فلن أبقى هنا وحدي"

ثم اتفق ثلاثتهم على الصعود إلى غرفهم وإحضار حقائبهم استعداداً للمغادرة، لكن ما حدث فاجأهم كثيراً!

الفصل الثالث

ما أن هم كل من يحيى ومهاب وكارمن بالصعود إلى غرفهم لإحضار حقائبهم ومغادرة الفندق، حتى دخل ربيع من باب الفندق أمام أعينهم وتركه مفتوحاً ترتسم على وجهه أمارات التوتر والارتباك، ثم اتجه مسرعاً نحو المطعم دون أن يلتفت بنظره إلى أي منهم، دخل المطعم وأغلق الباب خلفه، تبادل ثلاثتهم نظرة استغراب من تصرفاته غير المفهومة، قال مهاب في خفوت:

-"شيء يبعث على الجنون، هيا نغادر هذا المكان في الحال"

قالها وانطلق مسرعاً نحو الدرج متجهاً إلى غرفته يتبعه يحيى وكارمن.

دخل غرفته فتجمدت أنظاره على ورقة تشبه التي كانت مع يحيى تماماً، قرأها ليجد مكتوباً بداخلها:

-"مهاب عزيز/ لا أحد يحصل على كل شيء! حان وقت دفع الثمن!"

ألقى بجسده على السرير وقلبه يختلج بين ضلوعه!

****

دخلت كارمن غرفتها هي الأخرى وعقلها مشغول بخطتها التي فشلت قبل أن تبدأ، ثم لفت انتباهها ورقة مشابهة للتي كانت بحوزة يحيى ملقاةً على الأرض، التقطتها لتقرأها في فضول:

-"كارمن رأفت/ أخذت ما هو ليس من حقك! حان وقت دفع الثمن!"

تلفتت حولها في حركة لا إرادية، شعرت بالارتباك للمرة الأولى منذ وصولها ثم سارعت بأخذ حقائبها والنزول إلى الأسفل.

كان كل من مهاب ويحيى قد سبقاها إلى الخارج، تجاهلت عم ربيع الواقف في منتصف الردهة يتابع ما يجري في صمت دون تدخل، واتجهت نحو الخارج بخطواتٍ واثقة، لكنها زوت بين حاجبيها حينما وجدت مهاب ويحيى واقفين بجوار سيارتيهما يتجادلان في حدة، اقتربت منهما متسائلةً عما يجري؟! فأجابها يحيى في غضبٍ عارم:

-"إطارات سياراتنا ممزقة لا يمكننا المغادرة! نحن محتجزون هنا! أريد العودة إلى الداخل لأهشم رأس ذلك اللعين عم ربيع، أقسم أنه وراء كل ما يجري!"

قاطعه مهاب في حدة:

-"لن نستفيد شيئاً إن تشاجرنا معه فالإطارات مُزّقت وقد كان ما كان ما نريده هو الابتعاد عن هذا المكان، من الأفضل أن نفكر بوسيلة نغادر بها أولاً ثم نعود فيما بعد بصحبة الشرطة لنحاسبه على فعلته"

عقبت كارمن:

-"أرجح رأي مهاب! بإمكاننا طلب سيارة أجرة بواسطة أي تطبيق عبر الانترنت"

قالتها وهي تخرج هاتفها المحمول من جيبها محاولةً الاتصال بالإنترنت مراراً دون جدوى، ثم انتبهت لعدم وجود تغطية من شبكة المحمول في الأساس، ضرب مهاب جبهته بيده وهو يقول في أسف:

-"لقد لاحظت ذلك بالفعل بعدما وصلتني رسالة من والدتي، لكنني ظننت أنه أمر مؤقت نتيجة لبعدنا عن العمران" قالها وهو يحاول إعادة الاتصال بها ثانية بلا فائدة.

شعر يحيى بانقباضةٍ في صدره وقد أيقن أنهم في ورطةٍ كبيرة!

احتقن وجهه بالدماء وانطلق في غضب عائداً إلى داخل الفندق متجهاً نحو عم ربيع الذي كان لايزال يقف مكانه وسط الردهة بثباتٍ يحسد عليه، هدر يحيى وهو يجذبه من تلابيبه قائلاً:

-"اسمع أيها اللعين إن كنت تظن أن بإمكانك احتجازنا هنا فأنت مخطئ، سأقتلك بيدي هاتين" قالها وهو يسدد لكمة إلى وجهه تفاداها بكلتا يديه، تدخل مهاب وجذب يحيى بعيداً عنه ليهدأ قليلاً، ثم تابع تهديد ربيع قائلاً:

-"نريد أن نفهم حقيقة ما يجري هنا الآن! وإلا لن نرحمك"

بنبرةٍ رصينة أجابه ربيع وهو يهندم ثيابه:

-" أنا أنفذ الأوامر فقط! قبلتم بإرادتكم عرض إقامة لثلاثة أيام، ولا يحق لكم المغادرة قبل انتهائها، وستعرفون كل شيء قبل مغادرتكم، هذا كل ما أعرفه"

صرخ يحيى في جنون:

-"ومن أعطاك تلك الأوامر؟"

-" السيد راجح مندور" أجابه في برود قبل أن يستطرد قائلاً:

-"أنصحكم بالصعود إلى غرفكم والاسترخاء قليلاً، فموعد العشاء قد اقترب سأفتح المطعم في تمام الخامسة والنصف"

قالها واتجه في هدوءٍ عجيب نحو باب المطعم ودخله ثم أغلق الباب خلفه كالعادة، وكارمن تتابعه ببصرها في ذهول قائلةً:

-"أي عبثٍ هذا؟!"

ثم التفتت نحو حورية التي تجلس خلف طاولة الاستقبال كالتمثال وكأن ما يحدث لا يعنيها في شيء، وجهت حديثها إلى يحيى ومهاب هامسةً:

-"أحدهم يلعب معنا لعبة سخيفة لقد وجدت ورقةً في غرفتي مثل التي وجدها يحيى"

تنحنح مهاب قائلاً:

-"وأنا أيضاً وجدت ورقة مماثلة في غرفتي"

هربت الدماء من وجه يحيى وهو يقول:

-"ألم أخبركم أننا قد تم استدراجنا إلى هنا عمداً؟! من يكون راجح مندور هذا أنا لا أعرفه مطلقاً ولم أسمع بهذا الاسم في حياتي قط!"

-"ولا أنا"

نطق بها كل من مهاب وكارمن في الوقت ذاته، فتابع يحيى حديثه:

-"مستحيل! فهو يعرفنا جيداً"

اتسعت عينا مهاب وهو يجيبه:

-"قد يكون هو من وضع تلك الرسائل في غرفنا، لا شك في وجود شخصٍ آخر هنا، أعتقد أنه مختبئ في إحدى الغرف بالأعلى"

-"ماذا ننتظر إذاً؟ لنفتش الغرف كلها حتى نعثر عليه"

قالها يحيى في إصرارٍ بالغ بينما قاطعته كارمن:

-"اذهبا وحدكما فأنا قد أرهقني ما يحدث إلى أقصى درجة، سأصعد إلى غرفتي لأرتاح قليلاً حتى موعد العشاء، فأعصابي لا تحتمل هذا الكم من التوتر"

******

حمل يحيى حقائب كارمن وأوصلها إلى غرفتها، بعدها نزل إلى الطابق الأول حيث كان مهاب بانتظاره ليبدئا رحلة تفتيش الغرف، كان ممر الطابق الأول به خمس غرف فقط اثنين منهما يشغلهما مهاب ويحيى والثلاثة الباقية مغلقة بالمفاتيح، فشلا كلياً في فتحها أو الوصول إلى ما يدل على وجود أحدٍ بداخلها، فانتهى البحث على نحوٍ محبط وسريعٍ للغاية!

صعدا إلى الطابق الثاني والذي يوجد به ثلاثة غرف إحداها تشغلها كارمن وغرفتين مغلقتين أيضاً، تبادلا نظرة ضيقٍ واضحة قبل أن يقول مهاب:

-"علينا أخذ المفاتيح من الاستقبال، يمكننا أخذها عنوة فحورية لن تستطيع منعنا وحدها"

لم يكد ينهي عبارته حتى انقطعت الكهرباء وأظلم المكان، انخلع قلبيهما حينما تعالت صرخة كارمن من داخل غرفتها التي تبعد عنهما بضع خطواتٍ فقط، أخرج مهاب هاتفه المحمول من جيبه وقبل أن يضيء كشافه، سمعا صوت خطواتٍ تخرج من غرفة كارمن متجهة إلى السلم، لوهلةٍ ظنوا أنها قد غادرت غرفتها لولا ذلك الصراخ الذي استمر يخترق آذانهما، أضاء مهاب كشاف هاتفه مسرعاً وهو يتجه إلى داخل الغرفة، ليجد كارمن جالسةً على الأرض تنتفض في هلع، حاول تهدئتها قائلاً:

-"كارمن اهدئي! أنتِ بخير نحن بجوارك لقد انقطع التيار الكهربائي وسيأتي قريباً"

ثم التفت باحثاً عن يحيى الذي كان من المفترض أن يتبعه إلى داخل الغرفة لكنه لم يجده!

****

شعر يحيى بخدرٍ يتسلل إلى أنحاء جسمه، قبل أن يسقط في بئرٍ عميق من الظلام!
لم يدر كم مر من الوقت، رفع جفنيه بصعوبة مقاوماً ذلك الضوء الساقط على عينه من لمبة سقف متدلية فوق رأسه تماماً، ليجد نفسه وسط غرفة خالية إلا من حبلٍ ممتد على جدرانها الأربعة، يتدلى منه مناشف بيضاء تغطي نصف الحائط، انتفض في فزع ووقف يدور حول نفسه محاولاً فهم ما يجري، ومع دورانه لاحظ أربعة أحرف، كل منها مكتوب على المنشفة الممتدة على أحد الحوائط الأربعة، بلونٍ أحمر وكأنه كتب بالدماء، كانت الأحرف كالتالي:

-" د، و، ل، خ"

نطقها مراراً وهو يعتصر عقله لفهم ما قد تعنيه، ثم تغيرت ملامح وجهه فاتسعت عيناه، وتجمدت الدماء في عروقه حينما أدرك فجأةً معنى الحروف!

****

لم يدُم انقطاع الكهرباء طويلاً، أضاءت مصابيح غرفة كارمن التي كانت لاتزال جالسةً على الأرض في حالة ذهول ومهاب بجوارها يحاول تهدئتها، ما أن عاد الضوء حتى قال مهاب:

-"أرأيتِ كل شيء على ما يرام فقط انقطعت الكهرباء لبعض الوقت، لا يوجد أي داعٍ لكل هذا الذعر"

التفتت نحوه في بطء وكأنها لاحظت وجوده للتو، ثم قالت بشفتين ترتعدان خوفاً وهي تشير إلى باب الحمام:

-" انظر!"

التفت مهاب نحو باب الحمام المفتوح واتجه نحوه بخطواتٍ مرتجفة لتنطلق من حلقه شهقة فزع حينما رأى الزجاج المحيط بحوض الاستحمام ملطخ بالدماء ومكتوب وسطه بأصابع اليد رقم "3.472,251"، استدار نحو كارمن وهو يقول مستفهماً:

-"ما هذا الرقم؟!"

أجابته بصوتٍ يكاد يغادر شفتيها:

-"إنه عدد متابعين صفحتي حتى صباح اليوم!"

قاطعها في دهشة:

-"وماذا يعني ذلك؟!"

نظرت إليه بعينين زائغتين وقد كانت نظرتها تشي بأنها تعرف إجابة ذلك السؤال جيداً!

الفصل الرابع

ما أن فهم يحيى معنى تلك الأحرف المكتوبة على المناشف المحيطة به حتى وجد نفسه يبحث كالمجنون عن مخرج من الغرفة، أزاح بيده المنشفة أمامه فوجد باب الغرفة خلفها، فوجئ كثيراً حينما أدار مقبض الباب فوجده يفتح بكل سهوله، كان يتوقع أن يجده موصداً بالمفتاح، غادرها راكضاً ليكتشف أنه بالطابق الثاني أمام الغرفة الثالثة، تحرك نحو الغرفة الأولى غرفة كارمن والتي كان بابها لايزال مفتوحاً، دخل بخطواتٍ حذرة فتضاعفت دهشته حينما وجدها خالية، نزل إلى الطابق الأول وهو يتلفت حوله باحثاً عن مهاب وكارمن، ثم سار إلى غرفة مهاب وطرق الباب عدة مرات لكنه لم يجد رد، فتأكد أنه ليس بداخلها، قرر النزول إلى الأسفل وأثناء نزوله شاهد شخصاً يدخل الفندق في طريقه إلى مكتب الاستقبال، شعر ببارقة أمل في أن يجدوا وسيلة للمغادرة، فانطلق راكضاً باتجاهه وهو يصيح قائلاً:

-"انتظر أرجوك! لا تحاول البقاء في هذا المكان دعنا نغادر حالاً قبل أن تندم على دخوله، لنسرع إلى سيارتك"

أجابه الشاب بابتسامةٍ هادئة:

-"مرحباً أنا هشام! استلمت وظيفتي للتو من السيد "راجح مندور" وجئت لأبدأ العمل، وليس لدي سيارة، جئت بسيارة أجرة غادرت فور نزولي"

ثم تجاوزه بخطواتٍ بطيئة متجهاً نحو حورية التي كانت تتابع ما يجري في لامبالاة كعادتها.

احتقن وجه يحيى في سخط وهو يشعر بالمزيد من الإحباط الممزوج بالخوف، ثم انتبه أن باب المطعم مفتوح، فدخله باحثاً عن مهاب وكارمن، رآهما جالسين على إحدى الطاولات منهمكين في الحديث وعلى وجهيهما أعتى ملامح الذعر، والطعام أمامهما على الطاولة لكن يبدو أن أحدهما لم يتناول لقمةً واحدة، سحب أحد الكراسي وجلس بجوارهما، فبادره مهاب بقوله:

-" أين كنت؟ ظننت أنك ستتبعني إلى غرفة كارمن حينما انقطعت الكهرباء وسمعنا صراخها"

التفت يحيى حوله ثم ازدرد ريقه قبل أن يحكي له ما حدث معه، تبادل مهاب مع كارمن نظرةً ذات مغزى قبل أن تخبره كارمن بما حدث معها هي الأخرى، فقد فوجئت عندما فتحت باب الحمام بما كتب على الجدران الزجاجية لحوض الاستحمام، بعدها شعرت بحركة في الغرفة قبل أن تنقطع الكهرباء فدفعها أحدهم أرضاً وغادر، امتقع وجه يحيى ثم عقب قائلاً:

-" اعتقد أنه قد حان الوقت ليعترف كل منا بذلك الجرم الذي تسبب في وجودنا هنا الآن، لعلنا نفهم من الذي يعبث معنا هكذا؟! وسأبدأ بنفسي!"

****

تلك الأحرف المكتوبة على المناشف "د، و، ل، خ" قد قرأتها في البداية بالمقلوب لأنني درت حول نفسي في الاتجاه المعاكس لكتابتها حينما فكرت جيداً أدركت أنها تعني "خلود"! وهي شيطانة على هيئة فتاة، لم أصادف في حياتي من هو أكثر شراً وإيذاءً منها، أوقعتني في أكبر أخطاء حياتي!

"كنت على وشك الزواج من فتاةٍ تدعى سارة، لم أكن أحبها مثلما تحبني لكنها كانت في نظري زوجة مناسبةً لي، لتقارب ظروفنا الاجتماعية، عملنا في الشركة ذاتها لفترة وكان بيننا توافق وقبول جيد للغاية، حتى ظهرت خلود في المشهد، تقربت أولاً من سارة كالأفعى حتى وثقت بها وأصبحت صديقتها المقربة ثم بدأت تتدخل في مشاكلنا متظاهرة بحلها وبشكلٍ غير مباشر أرسلت لي إشارات وسط الكلام عن سوء سلوك سارة، ثم دبرت لها لقاء مع أحد زملائنا بالعمل وأخبرتني بميعاده، ليظهر الأمر وكأنها فتاة سيئة، ذهبت إلى المكان ورأيتها برفقته، فلم أنتظر حتى أتحقق مما رأيت، قمت على الفور بالتقاط عدة صور لهما، وأرسلتها إلى والدها مع رسالة لاذعة، ولم أكتفِ بذلك بل أنني من فرط الغضب أرسلت الصور إلى خلود والتي كانت في انتظار معرفة ما سيحدث، وبالطبع لم تنتظر لثواني قبل أن تنشرها وسط زملائنا فما كان من سارة سوى الاستقالة دون أن يعطيها أحد فرصة الدفاع عن نفسها.

حتى جاءني ذلك الزميل بعد فترة وأصر أن يخبرني بحقيقة الأمر، كان ما حدث برمته مكيدة من خلود، أقنعت سارة بأنه يريد خطبتها وبأنها تثق كثيراً برأيها فطلبت منها أن ترافقها في لقاء يجمع ثلاثتهما لتخبرها عن رأيها فيه، لكن خلود بالطبع لم تذهب، وظلت توهم سارة بأنها في الطريق لكي لا تغادر، حتى تأكدت من وصولي وتحقق ما تريده، أما عن اتفاقها مع ذلك الشاب فقد أقنعته بأن سارة فتاة سيئة وأوهمته بأنها اتفقت معها لتأتي للقائه، وحينما شاهد تلك الصور اكتفى بقول أنها كانت مصادفة، رغم يقينه أن أحداً لن يصدقه خشية أن تفتضح خلود أمره هو الآخر.

رغم شعوري بالذنب حيال ما تسببت به لسارة إلا أنني لم أجرؤ على الاعتراف بخطئي بين زملائي والدفاع عن سمعتها، أو محاولة الاعتذار منها وتبرأتها أمام أهلها، اكتفيت بالصمت ونسيان الأمر. مضى على ذلك قرابة العام!"

أنهى يحيى سرد حكايته فنظرت إليه كارمن بعينين يشع منهما الخوف وهي تقول بصوتٍ متهدج:

-" لا تقل لي أن اسمها هو سارة عز الدين!"

انتفض مهاب حينما سمع الاسم ونقل نظره بين كارمن ويحيى في انتظار إجابة يحيى التي صكت مسامعه وهو ينطق بها مدهوشاً:

-" نعم هي سارة عز الدين!"

لم يشعر مهاب بيديه وهو يلطم بها على خديه تغمره نظرات الذهول من كلاهما، ثم انتفض ثلاثتهم في هلع حينما وجدوا عم ربيع يقف أمامهم ممسكاً بصينية الطعام الخاصة بيحيى وهو يحدجهم بنظراته المريبة، تمنى يحيى لو ينتزع تلك الصينية من بين يديه ويلقي بها على الأرض، لكنه ما كان ليجرؤ على فعلها، فاكتفى بالصمت مع ما يحترق به جوفه من مشاعر في تلك اللحظة، وانتظر بفارغ الصبر حتى انتهى عم ربيع من وضع الطعام على الطاولة وانصرف، ثم أفرغ ما بجعبته في وجه مهاب قائلاً:

-"ماذا فعلت بها أنت الآخر؟!"

ازدرد مهاب ريقه في صعوبة محاولاً السيطرة على توتره قبل يأخذ شهيقاً عميقاً وهو يجيبه:

-"والدتي على معرفة بوالدة سارة، التقينا ذات مرة في عُرس ابنة صديقة مشتركة بينهما، كانت المرة الأولى التي أرى فيها سارة، تجاذبنا أطراف الحديث وعرفت منها أنها قد تركت عملها منذ فترة لكنها لم تخبرني بالسبب الحقيقي، عرضت عليها العمل معي في مشروعٍ خاص من تمويل والدتي، كنت قد بدأت فيه منذ فترةٍ لا تتعدى أسبوعين، ترددت قليلاً وطلبت مني مهلة للتفكير، بعدها بأيام أخبرتني بموافقتها بعد أن نجحت والدتها في اقناع أبيها.

وجدتها فرصة ذهبية للتخلص من عبء تحمل مسئولية ذلك المشروع الذي فرضته عليَ والدتي لتجبرني على العمل للمرة الثالثة، رغم فشل المشروعين السابقين، تركت سارة تعمل بمفردها ولم تكن تعترض بل ونجحت في اقناعها على مساعدتي في إخفاء الحقيقة عن أمي، استمر الأمر على هذا النحو لشهرين، قبل ان تسمع سارة بالصدفة مكالمة هاتفية بيني وبين أحد أصدقائي عرفت منها أننا نتعاطى المخدرات، ثارت وطلبت ترك العمل وهددتني بفضح أمري عند والدتي، ترجيتها أن تمهلني بعض الوقت لأجد موظفاً آخر يعمل مكانها وألا تخبر أمي بشيء، ثم جاءتني تلك الفكرة الشيطانية والتي ستضمن لي سكوتها بلا أدنى شك، وضعت لها بعض المواد المخدرة في كوب الشاي اليومي الذي تتناوله صباحاً، استدرجتها رغماً عنها إلى عالمي حتى أصبح كلانا في الهوَّةِ ذاتها، لكنها انهارت بأسرع مما تخيلت، وتدهورت صحتها كثيراً ففُضح أمرها، وبالطبع أنكرت أنا كل ما قالته عني، ودافعت عني والدتي باستماته كعادتها، ثم نجح محامي العائلة بتهديد والدها إن تم ذكر اسمي في أية بلاغاتٍ رسمية فلن يناله سوى الإضرار بسمعة ابنته لأنه قادرٌ تماماً على حمايتي، بعدها انقطعت كل الصلات بيننا ولا أعلم عنها شيء منذ ذلك الحين، لكن والدتي استمرت في تضييق الخناق علي وتقليل الأموال التي تعطيها لي، ولذلك قبلت دعوة هذا الفندق، وجدتها فرصة جيدة لأوهمها بأنني سأغادر المنزل ولن أعود ثانيةً، ثلاثة أيامٍ كاملة دون أن تعلم عني شيء ستجعل عودتي ذات فائدة كبرى في الضغط عليها"

أنهى مهاب كلامه وهو ينظر في خجل إلى كلٍ من يحيى وكارمن، عقب يحيى على حديثه قائلاً:

-"يبدو أن ذلك المدعو راجح مندور قد درس كل واحدٍ منا جيداً، وألقى لنا الطُّعم في الوقت المناسب تماماً للإيقاع بنا، ونحن ابتلعناه بكل سهولة"

زفرت كارمن زفرةً حارة وقد شعرت للمرة الأولى بفداحة فعلتها، قال لها يحيى في ترقب:

-"وماذا فعلتِ بها أنتِ الأخرى؟! لم يبق سوى قتلها"

نظرت نحو الأرض وهي تغمغم:

-"شيء من هذا القبيل! رغم أنني لم أقابلها قط!"

تبادل مهاب ويحيى نظرة عدم فهم، بينما استطردت حديثها:

-"سرقت صفحتها التي تحظى بملايين المتابعات، والتي تحمل اسماً مستعاراً "كارمن رأفت"!"

انطلقت شهقة عالية من حلق كل من يحيى ومهاب، وهما يحدقان فيها بذهول، تابعت بصوتٍ يحمل نبرة أسف مريرة:

-"كنت إحدى متابعات صفحتها التي ظهرت قبل أشهر، لكنني لم أكن أتابع محتواها الحزين من الكتابات المأساوية التي تصيغها ببراعة، والتي نجحت في جذب كل هذا العدد من المتابعين الذين يتألمون تماماً مثلها فتلمس كلماتها جروحهم العميقة، لكني كنت أتابع ذلك الرقم الذي يتزايد بسرعةٍ غريبة كلما أضافت محتوىً جديداً، ثم أتتني تلك الفكرة، تمكنت بمساعدة أحد أقاربي المعروف بدرايته بأمور الصفحات والمواقع الالكترونية من سرقة صفحتها، ثم قمت بوضع صورتي وبدأت بتغيير محتواها إلى المحتوى الحالي والذي زاد من أعداد متابعيها أضعافاً، ظلت لأيام تراسلني عبر الصفحة تسبني وتهدد بفضحي، ثم بدأت تتغير لهجتها للتوسل والاستجداء، وآخر رسالة أرسلتها لي قالت بأن تلك الصفحة هي كل ما بقي من حياتها وأخبرتني باسمها الحقيقي، وكان آخر ما قالته أنها إن اختفت تلك الصفحة من حياتها فستختفي هي الأخرى، ثم انقطعت الرسائل ونسيت أمرها تماماً، وانشغلت بنجاحي منقطع النظير الذي حققته في الآونة الأخيرة"

بصوتٍ خرج من بين شفتيه بصعوبة بالغة قال يحيى:

-"لا أفهم ما الذي يعنيه هذا؟ هل انتحرت أم أنها خططت لتنتقم منا جميعاً؟"

الفصل الخامس

لم يكد ينهي يحيى حديثه مع كل من كارمن ومهاب، حتى فُتِح باب المطبخ وخرج منه عم ربيع بملامح غاضبة رغم حديثه معهم بنبرةٍ هادئة وحاسمه في الوقت ذاته:

-" لقد انتهى وقت العشاء وحان موعد إغلاق المطعم من فضلكم غادروه الآن!"

لم يستطع يحيى تمالك أعصابه أكثر فانفلتت دون رجعه وهو يهدر صائحاً:

-"يكفي! أوقفوا هذا العبث وليخرج راجح مندور هذا، و يواجهنا الآن! لقد انكشفت اللعبة وفهمنا حقيقة ما يجري"

تبدلت ملامح عم ربيع على نحوٍ مباغت ولمعت في عينيه نظرة مخيفة زادت من رهبتها تلك الابتسامة الهازئة التي ارتسمت على شفتيه وهو يجيبه:

-"ليس بعد!"

هوى قلب كارمن بين ضلوعها بينما التفت مهاب حوله مذعوراً محاولاً فهم ما يعنيه العم ربيع، ثم تجمدت أنظارهما على هشام الذي كانا يريانه للمرة الأولى وهو يدخل من باب المطعم، يقول مبتسماً:

-"بعد انتهاء العشاء يحين موعد التسلية، مرحباً بكم في "فندق البِيش""

قالها وهو يشير بيده إلى خارج المطعم، عصفت بثلاثتهم مشاعر مختلطة بين الخوف والتوجس والاستسلام، فقد تلفت أعصابهم كلياً ولم يعد لديهم القدرة على التفكير في شيء، وبخطواتٍ مترددة غادروا المطعم خلف هشام الذي سار باتجاه باب مفتوح في الناحية المقابلة من الردهة، وقف بجوار الباب في انتظار دخولهم أولاً، ثم تبعهم إلى الداخل حيث طاولة تتوسط الغرفة عليها ثلاثة أظرف مغلقة، وقف قبالتهم قائلاً:

-" يقدم فندق البيش هدية لكل نزيل منكم، فليختار كل منكم هديته بنفسه"

أجابه يحيى في انفعال:

-" هل هذا هو دورك في اللعبة؟ لن آخذ شيئاً ولن أتابع في هذه التمثيلية السخيفة"

مط هشام شفتيه متظاهراً بالأسف وهو يرد قائلاً:

-"إذن سيكون الظرف الأخير من نصيبك!"

ثم أشار بيده إلى كارمن قائلاً:

-"فلنبدأ بالآنسة كارمن"

لم تستطع كارمن مقاومة فضولها، فمدت يدها والتقطت أحد الأظرف وفتحته لتجد فيه مفتاح إحدى الغرف متصل بميدالية مكتوب عليها رقم "103"!

تطلعت في هشام مدهوشة، فبادرها قائلاً:

-"هديتك المبيت هذه الليلة في غرفة ""103""

عقدت حاجبيها وهي ترد بارتباك:

-"لماذا؟"

أجابها:

-"جواب سؤالك موجود بداخل الغرفة!"

ثم التفت نحو مهاب قائلاً:

-"حان دورك سيد مهاب!"

مد مهاب يده في تردد نحو أحد الظرفين الباقيين وأخذ واحد منهما ليجد فيه مفتاح الغرفة رقم "202"

صاح يحيى:

-"لا تصعدوا إلى أية غرف! يريدون تفريقنا واصطيادنا كالفئران لينتقموا منا هذا كل ما في الأمر، لذلك لا يجب أن نفترق سنظل هنا سوية حتى الصباح، ثم نخرج من هذا المكان إلى الطريق العام ونغادر مع أول سيارةٍ تقابلنا"

أجابه هشام في هدوء:

-"لا أفهم ما الذي تعنيه سيد يحيى؟ لكن لا أحد سيجبركم على الصعود إن شئتم البقاء هنا حتى الصباح فهو شأنكم، طابت ليلتكم"

ثم ترك الغرفة وانصرف في هدوء ضاعف من قلق يحيى، اقترب مهاب منه وهو يقول هامساً:

-"ألم يكن تفتيش الغرف بالأعلى اقتراحك بالأساس؟! ها هي المفاتيح بحوزتنا ليس علينا سوى الصعود وفتح الغرف"

أجابه في سخط:

-"وفي ماذا سيفيدنا ذلك؟ بتنا نعلم أن سبب وجودنا هنا ليس سوى الانتقام مما فعلناه بسارة عز الدين، ليس علينا فهم شيء ولا ينبغي لنا التفكير بشيء سوى بالمغادرة فقط"

قاطعته كارمن:

-"بإمكاننا فعل الأمرين معاً، البقاء سوية وفتح الغرف أيضاً، يمكن أن نصعد للأعلى مع بعضنا البعض ونفتح الغرف، ثم نقرر بعد ذلك إن كنا سنبقى فيها أم لا"

****

قال هامساً:

-" لا أفهم لم كل هذا العناء بإمكانك التخلص منهم مباشرةً إن كان هذا غرضك الأساسي"

أجابه مغتاظاً:

-"غبي! غرضي هو أن أدفعهم للانهيار أولاً، فينتهي بهم الأمر للخلاص من بعضهم أو من أنفسهم بأنفسهم تماماً كما فعلوا بها، كل ذلك بالطبع بعد أن اعترفوا بفعلتهم!"

-"وهل تظن أنهم سيبيتون بتلك الغرف؟!"

-"سترى بنفسك!"

أجابه في ثقةٍ عجيبة!

****

استجاب يحيى لاقتراح كارمن على مضض، فأخذ الظرف الثالث وأخرج منه مفتاح الغرفة "104" ووضعه في جيبه ثم صعدوا معاً إلى الطابق الأول.

أثناء صعودهم التفت نحوها مهاب قائلاً:

-"إذا كان اسم "كارمن رأفت" هو اسم مستعار فما هو اسمك الحقيقي؟"

أجابته في ضيقٍ واضح:

-"ليس من شأنك! أنا كارمن رأفت وفقط!"

ابتلع ريقه في حرج وهو يتابع سيره نحو الأعلى صامتاً.

وضعت كارمن مفتاح الغرفة "103" في قفل بابها وأدارته، ثم فتحت المقبض وهي تدفع الباب في حذر لتتجمد أنظارها في ذهول وكذلك كل من مهاب ويحيى! فأمام أعينهم غرفة فاخرة لا تمت للغرف الأخرى بصلةٍ تذكر وكأنهم في فندق خمس نجوم، اتسعت ابتسامة كارمن وهي تدور في الغرفة في سعادةٍ منقطعة النظير ثم التفتت إليهما تقول في حسم:

-"لن أغادر هذه الغرفة مهما حدث، سأبقى هنا حتى انتهاء أيام الإقامة الثلاث"

ارتبك يحيى وبدأ يشك في كل حساباته هل يعقل أنه كان مخطئ من البداية وليس في الأمر أي انتقام؟ لكن مستحيل! كل ما يحدث يؤكد ذلك بلا أي شك!

أعاده مهاب إلى أرض الواقع بعبارته:

-"لا يبدو الأمر كما نظن! البقاء في مثل هذه الغرفة مجاناً هو ضرب من الخيال وفرصة لا تتكرر، سأصعد لأرى غرفتي!"

أنهى عبارته وانطلق نحو الطابق الثاني راكضاً وهو يمسك بيده مفتاح الغرفة 202، تبعه يحيى في ضيق، فتحها لتشع عيناه سروراً بتلك الغرفة الفاخرة، بادره يحيى:

-"كل ما يحدث غير مفهوم يا مهاب ولا يبشر بأي خير على الإطلاق، هذه الغرف ليست سوى طعم آخر لشيء أكثر سوءاً"

أجابه مهاب في عدم اكتراث:

-" قطعاً كل ما يحدث غريب ومريب، وإن ربطناه بما فعلناه فلا يعني سوى أن الأمور ستزداد سوءاً، ولكن حتى الآن ما يحدث ليس مضراً للغاية! وإن كان قدوم راجح مندور -قبل مغادرتنا كما قال ربيع- سينهي هذا العبث، فليس بيدنا سوى أن ننتظره إذن!"

لم يجد يحيى ما يجيبه به وقد بدا واثقاً مما يقول، فاستدار في هدوء مغادراً الغرفة، أخرج من جيبه مفتاح الغرفة 104 ونظر فيه طويلاً قبل أن يتخذ قراره بالنزول إلى الطابق الأول لفتحها والمبيت فيها، لكن قبل مغادرته أدار نظره للخلف صوب الغرفة 203، والتي كانت بها تلك المناشف المكتوب عليها أحرف اسم خلود، عاد إليها متشككاً، وفتحها ليجدها فارغة تماماً!

سرت في جسده قشعريرة باردة ثم تحرك باتجاه السلم متجهاً للأسفل، وأثناء مروره بغرفة كارمن وقد كانت لا تزال مفتوحة، خطر بباله أن يدخلها ليرى ذلك الرقم المكتوب بالدماء كما أخبراه، لكنه لم يجد سوى بقايا آثار لطلاء أحمر ليس في وسطه أية أرقام!

نزل الدَّرج يجر قدمه جراً في حيرة، متجهاً نحو الغرفة 104، دخلها وألقى بجسده على ذلك السرير الوثير، وقد غلبه النعاس من فرط التعب والارتباك وتوتر الأعصاب!

****

طرقات على باب الغرفة 202، أزعجت مهاب كثيراً والذي كان قد غفا لتوه، قام متثاقلاً وفتح الباب فوجد هشام يحمل صينية عليها كوب من العصير، ابتسم له وهو يقدمه قائلاً:

-"مشروب ترحيب خاص بغرفنا الفاخرة"

شكره مهاب في ضيق وأخذ العصير ووضعه بجواره، ثم أغلق الباب وعاد متجهاً نحو السرير بجفون ثقيلة بالكاد يفتحهما لكنه توقف لحظة وأمسك بكوب العصير وأفرغه في جوفه قبل أن يلقي بجسده على السرير في تهالك.

****

أمسكت كارمن بكوب العصير ترتشف منه في هدوء وهي تتابع مسلسلاً في التلفاز، بعد أن أخذته من هشام قبل قليل، وفجأةً شعرت بحركة مفاجئة قادمة من خزانة الملابس على يمين الكرسي الذي تجلس عليه، تجمدت الدماء في عروقها فأخفضت صوت التلفاز وأرهفت السمع، لكنها لم تسمع شيئاً انتظرت لثواني ثم زفرت في ارتياح ثم ما لبثت أن انطلقت من حلقها شهقة هلع حينما رأت خيط من الدماء الغزيرة يسيل من الخزانة على الأرض قادماً باتجاهها حاولت أن تقوم من فوق الكرسي لتركض باتجاه باب الغرفة، لكن ثقلاً عجيباً حلَّ على قدميها زاحفاً نحو باقي جسدها الذي فقدت القدرة على تحريكه كلياً، حتى الصراخ احتبس بداخل حلقها لم يجد سبيلاً للخروج، ثم انفتح باب الخزانة في بطءٍ شديد ومع انفتاحه تضاعفت كمية الدماء المتدفقة ليظهر أمامها عينين تحدقان بها من وسط ظلام الخزانة، انتفض جسدها بلا توقف ولم تقو أعصابها على التحمل، فشعرت بدوارٍ يسحق رأسها ثم أحكم الظلام قبضته على عقلها، وتراخى جسدها معلناً استسلامه...

الجزء السادس

نظر يحيى طويلاً إلى كوب العصير الذي قدمه له هشام قبل قليل، لكنه لم يشعر بالارتياح مطلقاً لوجوده فأخذه وسكبه في حوض الحمام، وأحكم إغلاق باب الغرفة ثم قرر أن ينال قسطاً من النوم ليهرب قليلاً من ذلك الضغط العصبي الذي يفتك بعقله، وضع رأسه على الوسادة وأغمض عينيه في إجهاد.

لم يعرف كم مضى من الوقت قبل أن يفتحهما عن آخرهما وهو يرهف سمعه إلى ذلك الصوت الغريب الذي يرن في أذنيه، صوت مكتوم يشبه خوار الثور قادم من الخارج، تردد كثيراً في أن يفتح باب الغرفة ليتحقق مما يجري، وانكمش في سريره محاولاً تجاهل الصوت الذي اختفى تماماً بعد دقائق معدودة، شعر بالارتياح بعض الشيء وأسبل جفنيه محاولاً الاستسلام للنوم، لكنه لم يكد يغفو حتى سمع الصوت يزداد علواً وحدة على نحوٍ يصعب تجاهله، اتسعت عيناه عن آخرهما وهو يسمعه يقترب من غرفته ثم انتفض في هلع حينما ارتج باب الغرفة بطرقاتٍ عنيفة، اعتدل جالساً ثم تقدم نحو باب الغرفة بخطواتٍ مرتجفة، ارتفع حاجبيه في ذهول حينما سمع صوت مهاب ينادي عليه مذعوراً، سارع بفتح الباب فتجمدت الدماء في عروقه حينما وجد مهاب أمامه في حالةٍ يرثى لها من الخوف والفزع ينتفض جسده وتتلاحق أنفاسه وهو يشير نحو غرفته ويهذي بكلماتٍ غير مفهومة، لم يشعر يحيى بنفسه سوى وهو يصفعه على وجهه بكل ما أوتي من قوة من فرط التوتر، سكن مهاب للحظات من المفاجأة وهو يحدق فيه قبل أن يلقي على مسامع يحيى أغرب عبارة ممكن أن يسمعها:

-"قتلتها! قتلت سارة وجثتها في غرفتي!"

ظل يحيى ثابتاً في مكانه برهة، وهو يحاول استيعاب ما سمعه للتو، ثم بدأ مهاب يروي له ما حدث...

****

فرض النوم سلطانه على مهاب، فغطس إلى أعماقه دون مقاومة، لكنه استيقظ على صوت التلفاز، فتح عينيه متثاقلاً وهو يبحث عن الريموت ليغلقه ثم انتبه إلى انه لم يفتحه من الأساس! حدق في شاشته جيداً ليجد تسجيلاً للحوار الذي دار بينه وبين

كارمن ويحيى أثناء جلوسهم بالمطعم وقت تناول العشاء، والذي اعترف فيه كل منهم بما فعله لسارة عز الدين، تنبهت حواسه دفعة واحدة وجلس على السرير يحاول التركيز في حقيقة ما تراه عيناه أم أنه مجرد حلم مزعج سيتلاشى الآن، ثم انقطع التسجيل فجأة لتظهر صورة سارة عز الدين مقتولة والدماء متناثرةً على وجهها، انتفض يصرخ في هلع لكن تيبست شفتاه حينما رأى انعكاس صورة جثتها على مرآة الخزانة أمام عينيه، ليلتفت ببصره نحو الأرض!

هربت الدماء من وجهه وشعر بغثيانٍ شديد كاد يفقد معه وعيه وأمام عينه جثتها ملقاة على أرض الغرفة تسيل منها الدماء، وفجأة فتحت عينيها تحدق فيه ثم انفرجت شفتاها عن أسنان ملطخةٍ بالدماء، لم يشعر مهاب بقدميه وهو يركض باتجاه باب الغرفة مقاوماً حالة غثيانٍ شديدة تنتابه وهو يصرخ بكل ما اوتي من قوة متجهاً نحو غرفة يحيى!

****

لم يصدق يحيى حرفاً مما أخبره به مهاب، حاول تهدئته أولاً وإقناعه بأن ما رآه مستحيل الحدوث وهو مجرد وهم أو كابوس أو حالة من الهذيان نتيجة ما يحدث لهم، لكن إصرار مهاب على روايته جعل يحيى يقول في إصرار:

-"إذن لنصعد معاً للتحقق مما تقول"

انكمش مهاب في كرسيه في فزع وهو يقول مرتجفاً:

-"لا لن أعود إلى هناك ثانيةً، اذهب وحدك!"

أخذ يحيى نفساً عميقاً، ثم ربت على كتفه قائلاً:

-"حسناً لا بأس سأذهب وحدي"

صعد إلى الطابق الثاني حيث غرفة مهاب ودخلها متردداً، لكنه كما توقع لم يجد شيئاً على الإطلاق، ووجد التلفاز مغلقاً، ثم لفت نظره كوب العصير الفارغ الموجود بجانب سرير مهاب، ففهم حقيقة ما يحدث، اشتعلت نيران الغضب في أعماقه وقرر أن يضع حداً لتلك المهزلة، نزل إلى الطابق الأرضي فوجده خالياً، باب المطعم مغلق، وحورية غير موجودة، لفت نظره وجود باب صغير في آخر الردهة مفتوح

قليلاً، تذكر حديث حورية عن الغرف التي يقيمون بها في الأسفل، عبر الباب ليجد سلماً صغيراً، نزل على أطراف أصابعه يحبس أنفاسه، ليجد ممراً طويلاً على يمينه به عدة أبواب، تحرك نحوها في حذر فسمع صوتاً قادماً من خلف الباب الأول، وضع أذنيه عليه فسمع الحوار التالي:

-" كل شيء سار كما خططت له تماماً كنت أخشى أن يتعرف عليّ"

-"أخبرتكِ بأن ذلك لن يحدث مع حالة الارتباك التي يعيشها وتأثير الجرعة الكبيرة من عقاقير الهلوسة التي وضعتها في العصير من المستحيل أن يعي عقله ما يراه"

-"لا أفهم من أين تأتي بتلك الثقة، لم أكن أصدق أنهم سيقبلون بالمبيت في الغرف من الأساس"

-"عرفت ذلك من اللحظة التي قبلوا فيها أخذ الأظرف، لذلك استبعدت يحيى من الخطة الحالية حتى أنني لم أضع له شيئاً في العصير الذي قدمته له فهو مختلف عنهم، لكني دبرت له أمراً آخر سيناسبه أكثر"

ثم قهقه ضاحكاً، ارتعدت أوصال يحيى وكاد يبتعد مغادراً لولا ذلك السؤال الذي اخترق أذنيه بصوتٍ أنثوي لم يعد لديه شك في أنه صوت حورية:

-"هناك سؤال يشغلني لم أفهمه حتى الآن، ما ذا تعني كلمة "البِيش" التي قررت تسمية الفندق بها؟!"

-"وجدته اسماً مناسباً كثيراً لما خططت له، فالبيش هو اسم زهرة سامة ذات جمالٍ أخاذ بلونها الأرجواني الجذاب والذي يجذب إليها فريستها لتناولها فتؤدي إلى الموت المحتم"

سرت في جسد يحيى قشعريرة باردة وسرى الخوف في جسده مع صوت مقبض الباب الذي يفتح من إحدى الغرف المجاورة، فسارع بالاختباء خلف الجدار الملاصق للسلم، ثم أخرج رأسه يخطف النظر نحو الممر، ليجد عم ربيع يخرج من إحدى الغرف متجهاً نحو الغرفة الأولى حيث كان يدور الحوار الذي سمعه، قبل أن يطرق بابها ثم فتحه ودخل، لم يستطع يحيى مقاومة فضوله فتقدم بضع خطوات أخرى نحو الباب الذي كان لا يزال مفتوحاً، ووقف يرهف السمع للحوار الذي يدور بالداخل:

بنبرةٍ عصبية:

-"ما الذي تفعله هنا يا ربيع ألم أطلب منك البقاء بالأعلى لمراقبة ما يحدث"

أجابه في ارتباك:

-"شعرت بوعكة في معدتي واحتجت للبقاء في الحمام لبعض الوقت، سأصعد حالاً، هل فاتني شيء؟"

سمع صوت حورية تجيبه:

-" لم أغادر غرفة كارمن إلا بعد أن فقدت وعيها من الهلع ثم نثرت بقايا الطعام في الأرض استعداداً للخطوة التالية، أما مهاب فقد انهار كلياً"

عقب قائلاً:

-"لم يبق إذن سوى ذلك اللعين يحيى ما الذي تنوي فعله به يا هشام؟"

اتسعت عينا يحيى حينما سمع اسم هشام الذي قال مجيباً سؤال ربيع:

-" في المرة السابقة خدرته وأخذته إلى غرفة المناشف، أردت أن أدفعه ليفكر فيما فعله ويكتشف السبب وحده، أن يشعر بالذنب ويؤرقه ضميره فيعترف بجرمه، أما الآن فقد حان الوقت العقاب، سأجعله ينهي حياته بنفسه، تماماً كما فعلت سارة!"

كتم يحيى شهقةً كادت تغادر حلقه وتذكر أنه رأى هشام للمرة الأولى بعدما غادر الغرفة التي كانت بها المناشف، هذا يعني أنه كان موجوداً منذ البداية ولم يكن دخوله حينها سوى خدعة أخرى للنيل من أعصابهم!

تغيرت نبرة صوت هشام عند ذكر اسم سارة، نطقه في شجن، بدا متأثراً للغاية، عقبت حورية على حديثه محاولةً مواساته قائلةً:

-"يبدو أنك قد أحببتها كثيراً، ها أنت على وشك الثأر لها، لم يتبقَّ الكثير حتى تشفي غليلك وترى نهايتهم بعينك"

أومأ برأسه إيجاباً دون أن يعقب، ثم أشار بيده إليهما لينصرفا، تابعهما بعينيه وهما يغادران الغرفة ثم أسند رأسه واستغرق في ذكرى حزينة حينما التقى سارة قبل عدة أشهر...

كان يعمل مع والدها، وذات يوم لاحظ عليه أمارات التعب الشديد، ثم جاءه ذلك الاتصال الهاتفي الذي انهار على أثره ولم يعد قادراً الوقوف على قدميه، فتدخل هشام وحاول مساعدته، طلب منه أن يوصله إلى منزله في الحال، فاستجاب هشام لطلبه، كانت سارة حينها قد ساءت حالتها كثيراً من تأثير المخدرات وقرر والدها إدخالها إلى مصحة للعلاج، تعاطف هشام معها كثيراً حينما رأى الغلظة التي يعاملها بها والدها مع إصرارها على أنها لا ذنب لها فيما يحدث، حتى أنها كانت تتوسل إلى والدها ألا يعالجها ويتركها لتموت وترتاح مما تعانيه من ظلم.

صدقها هشام، وداوم على زيارتها في المصحة للاطمئنان عليها دون علم والدها، كانت ضعيفة، يائسة، محطمة، أخبرته بما فعله بها يحيى ومن بعده مهاب، كيف لم يصدقها والدها، وأصبح يعاملها بقسوة بالغة حتى أنه أخبرها بأنها ستبقى حبيسة غرفتها حتى تموت!

عرض عليها هشام الزواج كوسيلةٍ للخلاص، لكنها رفضت رفضاً قاطعاً وأجابته بتلك العبارة التي لن ينساها قط:

-"لست سوى بقايا انسان لا أصلح للحياة!"

أجابها بيقين:

-"غير صحيح! أنت ضحية نفوسٍ مريضة، عالمٌ وحشي لا مكان فيه للصفاء وحسن النية، أنت بحاجةٍ فقط لبعض الوقت لتلتئم جروحك وتستعيدي ثقتك بنفسك، حينها ستثبتين للجميع وأولهم والدك بأنك جديرة بالاحترام وستتابعين حياتك وتلقين وراء ظهرك كل ما حدث وكأنه لم يكن، وأنا سأنتظرك!"

ظن في البداية أنه متعاطف معها فقط، لكنه أدرك بعد فترة أنه قد أحبها حقاً، تمنى لو كان بيده أن ينتشلها من ذلك التيه الذي تتخبط فيه بغير هدى، لكن عليه التحلي بالصبر فهي أضعف بكثير من أن تتجاوز ما حدث معها سريعاً.

وبعدما غادرت المصحة، ظل على اتصال بها، لاحظ كيف تعبر ببراعة عما تشعر به بالكتابة، فنصحها بالاستمرار في إفراغ ما يجيش به قلبها من ألم وحزن بكلماتها الآسرة التي كانت تكتبها تحت ستار اسمه "كارمن رأفت" حتى لا يكشف والدها أمرها.

تابع هشام كيف يتضاعف عدد متابعيها على نحوٍ لافت، وما لذلك من أثر عميق في استعادتها لثقتها بنفسها بعض الشيء، والتي تستمدها من مواساة ودعوات الكثيرين لها ممن يغرقون في عالم الحزن والألم، بدأ يشعر بالأمل في أن تتحسن حالتها قريباً فتحين اللحظة التي ينتظرها بفارغ الصبر، لكن حدث ما حدث! وفقدت الشيء الوحيد الذي يعطي لحياتها معنى بين ليلةٍ وضحاها، فانتكست حالتها وأصبحت على شفا الجنون!

تلك الصفحة كانت كل ما تملكه، حاول اقناعها بالتماسك وعمل واحدةٍ أخرى والبدء من جديد وعدم التوقف عن المحاولة، لكن نفسها كانت هشَّة لم تتحمل خسارة إضافية فقررت الاستسلام وأبلغته بقرارها في رسالة وداع لم يقرأها سوى بعد رحيلها، رسالةٍ هزت كيانه وأوقدت بداخله نيران الرغبة في الانتقام، فأعد خطته في هدوء.

استغل اسم خاله "راجح مندور" وذلك البناء في أرضه البعيدة والذي أعده منذ سنوات كاستراحة لإقامته هو وأصدقائه أثناء رحلات الاستجمام التي اعتادوا على تكرارها بين الحين والآخر، أجرى هشام بعض التعديلات على المبنى من الداخل ليبدو كالفندق، ثم ظل يتابع أحوال كل من مهاب ويحيى حتى اختار الوقت الملائم ليرسل لهما الطعم، لكنه لم يكن يعلم طريقاً للوصول إلى كارمن، بذل جهداً كبيراً للوصول إلى رقم هاتفها من أحد كارهيها بعد أن وعده بفضيحة من العيار الثقيل ستقضي على وجودها في العالم الافتراضي كلياً، ثم أرسل لها تلك الرسالة وقد عرف ما ستفكر به فهي تهوى لفت الأنظار باختفائها لبعض الوقت، ذلك الأمر الذي تكرر سابقاً والذي راهن نفسه على أنه سيكون الدافع الرئيسي لقبولها وقد كان بالفعل، ثم استعان بحورية والعم ربيع وهما المسئولان عن صيانة وتنظيف الاستراحة وخدمة الضيوف في فترات تواجد خاله وأصدقائه، أخبرهما بما ينوي فعله ورسم معهما الخطة التي وعداه بأن خاله لن يعلم عنها شيئاً مقابل مبلغ مجزي، كل ما يعلمه راجح مندور أن هشام ينوي استضافة بعض من أصدقائه بالاستراحة لمدةٍ أقصاها ثلاثة أيام وقد وافق على ذلك بكل سرور، تعمد هشام عدم الظهور من البداية ليوقع في نفوسهم الخوف وهو هدفه الأساسي، فلم يكن القتل المباشر هو ما يريده، وإنما إنهاكهم نفسياً أولاً، ومن ثم دفعهم للانهيار تماماً كما فعلوا بسارة!

صك مسامعه صوت قادم من الخارج فأعاده من شروده إلى الواقع لتتسع عيناه في ذهول مع باب غرفته الذي فُتح ليكشف عن مفاجأةٍ غير متوقعة!

الجزء السابع

فوجئ يحيى بخروج كل من حورية وربيع من الغرفة، لم يكن أمامه الوقت الكافي للهروب أو الاختباء، أمسك به ربيع في قوة ولم ينجح في الإفلات منه لشدة ارتباكه، ثم جذبه إلى غرفة هشام، تطلع فيه هشام مدهوشاً ثم حدق في وجه ربيع في سخط قبل أن يصيح غاضباً:

-"أفسدت الخطة! أخبرتك أن تبقى بالأعلى وتراقب ما يحدث!"

أخفض ربيع رأسه إلى الأرض في توتر، بينما التفت هشام نحو يحيى قائلاً:

-" بالطبع كنت تستمع إلى ما نقول وعرفت حقيقة ما يجري"

حاول يحيى تمالك أعصابه والتظاهر بالثبات وهو يجيبه:

-" للأسف أفسدت خطتك ولن تصل إلى مرادك وسيذهب تعبك سدى"

انطلقت من حلق هشام ضحكةً ساخرة معقباً:

-" لا تتسرع في الحكم على الموقف فلا يزال بجعبتي الكثير"

ثم أشار إلى ربيع قائلاً:

-"أمسكه جيداً حتى أنتهي من تقييد يديه وقدميه "

وبعد أن انتهى، أمر ربيع أن يصعد للأعلى، ثم غادر الغرفة وأغلق بابها بالمفتاح من الخارج!

****

طال انتظار مهاب لعودة يحيى وهو لازال يعاني من غثيانٍ شديد، ثم بدأ يرى ظلالاً سوداء تحوم حوله، أخذ يضرب الهواء بكلتا يديه محاولاً التخلص منها، اعتصر عينيه ثم فتحهما ليتحقق مما يراه، فارتاح حينما وجد الغرفة فارغةً من حوله، ثم انتفض في هلع حينما سمع صوتاً يهمس في أذنيه:

-"ستقتلك كما قتلتها"

صرخ في فزع:

-"لم أقتلها، لست أنا"

وضع يديه على أذنيه محاولاً كتم الصوت، لم يعد يستطيع تمييز إن كان ما يجري معه حقيقة أم مجرد هلاوس من نسج خياله، سمع صراخاً قادم من الخارج، فقام من فوق كرسيه مترنحاً يبحث عن شيء يحمي به نفسه، وجد سكيناً في طبق الفاكهة الموجود على الطاولة المجاورة له، فأمسك به وانطلق خارج الغرفة مذعوراً!

****

فتحت كارمن عينيها في ثقلٍ شديد، تقاوم ذلك الدوار الذي يجتاح رأسها، تذكرت أمر الدماء القادمة من الخزانة، حدقت فيها فوجدتها مغلقة ولا أثر للدماء، شعرت بوهنٍ شديد في جسدها زاد منه تلف أعصابها لم تستطع المقاومة أكثر فتركت دموعها الحارة تنساب بغزارة ثم وقفت مستندةً على ظهر الكرسي الذي كانت تجلس عليه، وفتحت درج الطاولة الصغيرة المجاورة للسرير، ثم أخرجت منه هاتفها المحمول، حاولت مراراً الاتصال بأختها دون جدوى لا وجود لتغطية الشبكة مطلقاً، جربت الاتصال بشبكة الانترنت لكنها فشلت في ذلك أيضاً، ثم داهمها الحنين إلى صفحتها ففتحت التطبيق متمنيةً قراءة بعض التعليقات كما اعتادت يومياً، لكن عدم اتصاله بالانترنت حال دون ذلك، وفجأةً شعرت بوخزٍ في قدميها، فنظرت إلى الأرض، لتجد عدداً هائلاً من نملٍ أسود كبير الحجم يفترش أرض الغرفة على نحوٍ مفزع، ظلت تصرخ بهيستيريا وهي تقفز محاولةً إبعاده عن قدميها أثناء تحركها نحو باب الغرفة راكضةً، فتحته وخرجت وهي لا تتوقف عن الصراخ ثم انتابتها حالةٌ من الهلع حينما وجدت مهاب قادم باتجاهها وهو يحمل سكيناً في يده، أثار صراخها جنونه وهو يرى صورتها مهزوزة في عينيه غير قادر على تمييز من تكون، لم يشعر بقدميه وهو ينطلق باتجاهها مشهراً سكينه إلى الأعلى، ركضت كارمن محاولةً الفرار منه وهاتفها لا يزال في يدها فضغطت بإصبعها زر التصوير دون قصد، لم تلاحظ اتصال الهاتف بالانترنت ولم تدرك أنها بصدد تصوير اللايف الأكثر مشاهدة في حياتها والذي لن تراه مطلقاً، ذلك الفيديو الذي سجل اللحظات الأخيرة لها في هذا العالم، وثَّقَ مقتلها أمام أعين الملايين، وسكين مهاب تنغرس في رقبتها مسددةً لها الطعنات الواحدة تلو الأخرى، حتى سقط الهاتف من يدها وانقطع البث تاركاً حالة من الفوضى تجتاح العالم الافتراضي!

وقف مهاب في ذهول محاولاً استيعاب ما فعله ومشهد جثة كارمن الغارقة في بحرٍ من الدماء قد أصابه بصدمة، ظل محدقاً فيها فخيل إليه أنه ينظر إلى وجه سارة،

ظلَّ يصرخ كالمجنون وهو يركض باتجاه السلم فاختل توازنه وسقط يتدحرج عليه والسكينة لا تزال في يده فانغرست في قلبه ليهوي صريعاً عند نهاية الدَّرج، تحديداً عند قدمي هشام الذي وقف يتابع ما يجري في تشفي!

****

قبل قليل....

بعد أن غادر هشام غرفته تاركاً يحيى مقيد اليدين والقدمين، أخذ يعتصر ذهنه باحثاً عن وسيلة تمكنه من فك قيوده والهرب، ظل يجوب بنظره أرجاء الغرفة باحثاً عن شيء يساعده في قطع القيود، لكنه لم يعثر على شيء، أصابه الإحباط وتضاعفت ضربات قلبه من فرط الخوف، فوجد نفسه يزحف في أرجاء الغرفة محاولاً في يأس الخلاص مما هو فيه، ثم فوجئ بوجود جهاز أسفل السرير، عرفه ما أن وقعت عيناه عليه، جهاز تشويش للهواتف النقالة! يمنع التقاطها لإشارات الاتصال بشبكات المحمول، كان قد شاهد صورته مراراً على مواقع التسوق الالكترونية، عند تصفحه الدائم لأقسام الهواتف المحمولة ومتعلقاتها، فسارع بالزحف إليه وسحب السلك المتصل بقابس الكهرباء بواسطة أسنانه، فانطفأ في الحال، وقد شعر ببصيص من الأمل للخروج، جلس يتمنى أن يلاحظ أي من مهاب أو كارمن عودة شبكات المحمول للعمل على هواتفهما، فيسارع أحدهما بالاتصال بمن ينجدهم مما هم فيه!

****

وقف ربيع بجوار هشام ينظر إلى جسد مهاب الغارق في دمائه بعد أن تحقق من موت كارمن، ثم قال في تلعثم:

-"ماذا سنفعل هل نخرج لدفنهما الآن ؟!"

أجابه هشام في برود:

-"لا! لن أدفنهم بأرض خالي لن أجلب له المشاكل"

-"أية مشاكل لا أحد يعرف بوجودهم هنا ولا مجال ليكتشف أحد أمرهم مطلقاً"

-"أعلم، ولكن الأفضل أن نأخذ احتياطاتنا، سأنتظر حتى ينتصف الليل ثم أحضر سيارتي لأخذهما بعيداً، تركتها على مقربةٍ من هنا "

-"وماذا ستفعل في ذلك اللعين بالداخل؟"

نظر إليه هشام نظرةً ذات مغزى ثم أخرج من جيبه حبة دواء، وتأمل فيها قائلاً:

-" سأجعله يقتل نفسه بالطريقة ذاتها التي تخلصت بها سارة من حياتها، حبة السيانيد!"

-" وكيف ستجعله يبتلعها؟!"

-"سنتركه بضع ساعات حتى يقرصه الجوع، ثم نعطيه وجبة طعام ونخفي الحبة بداخل لبابة الخبز ليتناولها بنفسه، والآن اذهب لتصنع لنا وجبة عشاء فاخرة احتفالاً بهذه الليلة الحافلة، انتهى الأمر بأسرع مما توقعت!"

اتجه ربيع نحو المطبخ ليعد طعام العشاء، بينما نزلت حورية من الطابق العلوي ترتجف في ذعر، ثم قالت بصوتٍ مرتجف مخاطبةً هشام:

-" لا أستطيع تحمل ما يجري! رؤية جثث ودماء هو أمر يفوق قدرتي على التحمل بكثير، أرجوك أأذن لي بالانصراف لم يعد هناك داعٍ لوجودي"

-" لا بأس لكن الوقت متأخر انتظري حتى الصباح وسأوصلكِ بنفسي إلى الطريق الرئيسي لتجدي ما يوصلكِ إلى قريتك، أما الآن فبإمكانك البقاء في غرفتك"

وافقته بإيماءةٍ من رأسها ثم اتجهت مسرعة نحو الأسفل إلى غرفتها.

****

أثناء مرورها من أمام غرفة هشام..

سمع يحيى صوت أقدامٍ تقترب منه فانتفض في جزع وظل يتلفت حوله يفكر في مكانٍ يحتمي به فهو لا يعلم ما سيفعلونه به، اختلج قلبه في صدره حتى كاد يخرج من بين ضلوعه وتلاحقت أنفاسه حينما وصلت الخطوات إلى باب الغرفة، لكن الصوت تجاوز الباب إلى الناحية الأخرى من الممر، فقد يحيى سيطرته على أعصابه وغلبه خوفه وارتباكه فانفجر باكياً وهو يضرب رأسه في الجدار، تجمدت حورية مكانها وقد رق قلبها لصوت بكائه، لم تكن لتفعلها لولا ذلك الشعور الجارف بالتوتر والحزن الذي يجتاحها من بعد رؤية ما حدث لكارمن ومهاب، فاتخذت قرارها وعادت بضع خطواتٍ للخلف حتى وصلت إلى باب غرفة هشام وأدارت

المفتاح الذي كان في قفل الباب من الخارج، ارتجف يحيى في هلع وعينيه مثبتتين على باب الغرفة الذي انفتح بسرعة ودخلت منه حورية بوجهٍ أصفر خالي تقريباً من الدماء، يبدو شاحباً وكأنه لجثةٍ قد فارقت الحياة، ارتعد لمنظرها ونظراتها المذعورة وتراجع إلى الخلف زاحفاً حتى التصق ظهره بالجدار، اقتربت منه وهي ترتجف وهمست قائلة:

-"لا تخف جئت لأخرجك من هنا، لقد مات رفيقاك ولن يتركك هشام تغادر حياً"

اتسعت عيناه عن آخرهما وقد عجز عقله عن استيعاب ما تقول، واحتبست الكلمات في حلقه، تجاهلته وهي تحاول فك قيوده بسرعة، ثم وضعتها على نحوٍ يوحي بأنها لا تزال مربوطة، واستطردت في خفوت:

-"اسمعني جيداً! لن نستطيع الخروج الآن علينا انتظار الوقت المناسب حتى لا يكتشف هشام أمرنا، ستبقى هنا متظاهراً بأنك لا تزال مقيد، سيأتي هشام قريباً ليتفقدك وقد يستفزك بإخبارك عما حدث لكارمن ومهاب ستتظاهر بالمفاجأة، وبعد انصرافه سأخرجك من الباب الخلفي للاستراحة"

لم يكن يحيى في حالة تسمح له بالمجادلة أو الحديث من الأساس، فلم ينبس ببنت شفة بينما أنهت حورية حديثها وغادرت الغرفة على الفور وأغلقت الباب من الخارج كما كان، ثم أسرعت بالدخول إلى غرفتها.

ظلت تقف خلف الباب ترهف السمع، مضى بعض الوقت حتى سمعت صوت خطواتٍ تقترب، ثم سمعت صوت قفل باب غرفة هشام يفتح فأدركت أنه قد وصل!

****

دخل هشام الغرفة واقترب من يحيى الذي كان لا يزال جالساً على الأرض، يعلو صدره ويهبط من فرط الخوف، راق مظهره كثيراً لهشام فابتسم هازئاً وهو يقول:

-"ليتها كانت هنا لترى كيف أصبح حال ثلاثتكم، ليت باستطاعتي أن أخبرها أنني انتقمت ممن آذوها"

قاطعه يحيى بصوتٍ متهدج:

-" لم يكن ذنبي! خلود هي من فعلت كل شيء، هي من تستحق العقاب لست أنا، كل خطئي أنني صدقت ما رأته عيناي!"

صرخ فيه هشام في غضبٍ عارم:

-"كاذب! لم تتحقق مما رأيت، ولم تدافع عنها حينما علمت الحقيقة، لم تخبر والدها ببراءتها مما اتهمتها به! أنت مذنب تماماً كتلك اللعينة خلود، كنت أتمنى لو أقطعها إرباً بيدي لكن دعوتها إلى هنا كانت ستكشف الأمر سريعاً بلقائك بها، رغم ذلك لن أتركها! سيأتي اليوم الذي تدفع فيه ثمن فعلتها"

ثم حملق فيه على نحوٍ هوى له قلب يحيى من الفزع، واستطرد قائلاً:

-"أما الآن فقد حان دورك! بالمناسبة نسيت إخبارك بأن مهاب قتل كارمن، ثم تسبب في قتل نفسه"

قالها وظل يتأمل ردة فعله في استمتاع، تظاهر يحيى بالمفاجأة وظل ينتحب رفيقيه ويتوسل إليه ليتركه، كان ذلك ما أراده هشام تماماً، فقهقه ضاحكاً في شماتة ثم غادر الغرفة.

****

ما أن سمعت حورية صوت قفل باب غرفة هشام يغلق تبعتها صوت خطواته يبتعد حتى فتحت باب غرفتها في هدوء وسارت على أطراف أصابعها نحو غرفته، ثم فتحت الباب فوجدت يحيى قد تحرر من قيوده ووقف خلف الباب في انتظارها، أشارت إليه ليتبعها دون أن تتحدث، تحركت نحو بابٍ معدني في الناحية المقابلة للسلم المؤدي إلى الردهة، ثم فتحته ليظهر من خلفه سلم آخر صعدته يتبعها يحيى حتى وصلت للأعلى حيث باب علوي فوق رأسيهما تماماً، همست قائلةً:

-"الباب ثقيل للغاية لا أستطيع فتحه وحدي"

هزَّ رأسه متفهماً وأزاح ترباس حديدي ثم دفع الباب بكل قوته نحو الأعلى، دفع نفسه ليخرج أولاً ثم أمسك بذراع حورية ليساعدها على الخروج هي الأخرى، ثم انتبه أنهم وسط أرضٍ خاوية في الناحية الخلفية من الاستراحة، تغرق في ظلامٍ كالح

إلا من بعض أشعة القمر التي تشق طريقها بصعوبة من بين الغيوم، ليس حولهم أي طريق قد يجدون فيه سيارة تقلهم إلى بلدة مجاورة، قال في انفعال مخاطباً حورية:

-" ماذا سنفعل الآن؟ لو اكتشف هشام أمرنا فسيعثر علينا في غضون دقائق معدودة!"

أجابته في تلعثم:

-"ليس أمامنا سوى الركض باتجاه الطريق، إنه في الناحية الغربية يبعد نحو نصف الساعة سيراً على الأقدام"

امتقع وجه يحيى لكنه ليس لديه خيارٌ آخر، فانطلق راكضاً وهي تتبعه!

مضت قرابة ربع الساعة قبل أن سمعا صوت سيارة قادم باتجاههما، أدركا أنه هشام بلا شك، حاولا مضاعفة سرعتهما إلا أنه كان أسرع منهما بكثير، بددت كشافات سيارته ظلمة المكان، ثم توقف حينما أصبحا أمامه مباشرةً، لم يعُد هناك فائدةٌ من الركض فتوقفا يلتقطان أنفاسهما، وهو يحدق فيهما والغضب يتطاير من عينيه، قبل أن يصيح قائلاً:

-"ألن تنضم إلى رفيقيك؟! إنهما معي بانتظارك! لا أنكر أنني كنت أتمنى أن تقتل نفسك بيديك لكن لا بأس سأفعلها أنا! أما أنتِ يا حورية فقد خذلتني كثيراً وتستحقين البقاء معهم!"

قالها وهو يستعد لضغط دواسة البنزين على السرعة القصوى ليدهسهما بلا تردد، لكن أصواتٌ مفاجئة أربكت حساباته، التفت يحيى خلفه ليجد عدد من سيارات الشرطة قادمة نحوهم في طريقها إلى الاستراحة، صرخ بكل ما أوتي من قوة وهو يلوح بذراعيه:

-"النجدة! أنقذونا"

ظل هشام يتابع ما يجري لثواني وقد أفقدته الصدمة قدرته على التركيز، ثم تراجع إلى الوراء وانطلق بأقصى سرعته بالاتجاه الآخر!

وصلت سيارات الشرطة إلى حيث يحيى وحورية، وقد أخبرهم يحيى سريعاً بأن جثتي كارمن ومهاب بداخل تلك السيارة، فانطلقت سيارتان تلاحقانها، أخبر يحيى

ضباط الشرطة بكل ما حدث معهم من البداية ثم سألهم متعجباً كيف عرفوا بالمكان؟! فأجابه أحدهم أن الفضل يعود لذلك الفيديو الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، ثم تبعه بلاغ تلقوه من أخت كارمن، فقاموا بتتبع مصدر الفيديو حتى وصلوا إليهم.

****

عثر رجال الشرطة على السيارة والجثتان بداخلها لكن هشام كان قد هرب واختفى ولم يعثر أحد له على أثر من حينها رغم محاولات البحث الجارية عنه.

*****

تم القبض على كلٍ من حورية وربيع ونال كل منهما عقوبتهما القانونية المستحقة.

****

اعترف يحيى بما اقترفه في حق سارة، واعتذر من والدها رغم يقينه بأنه اعتذار بلا أية معنى بعد كل ما حدث، مما ضاعف من شعوره بالذنب تجاهها، فقرر زيارة قبرها ليحدثها ويفرغ ما بداخله من أسف لعله يسامح نفسه على ما فعله بحقها، جلس قبالة قبرها وحدثها نادماً، تمنى لو يعود الزمن للوراء ليصلح ما أفسده، تمنى أن تسامحه، ثم فجأةً شعر بضربةٍ هائلة سحقت رأسه، ونافورةٌ من الدماء تتدفق على ملابسه، كان آخر ما سمعه قبل أن يسقط في ظلامٍ سرمدي:

-" لقد فعلُتها يا سارة أخذت حقك كاملاً! فلترقدي في سلام!"

تمت

****

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة ثنائية "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

المكتبة العربية للنشر والتوزيع.

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/

معرض القاهرة الدولي للكتاب
Cairo International Book Fair

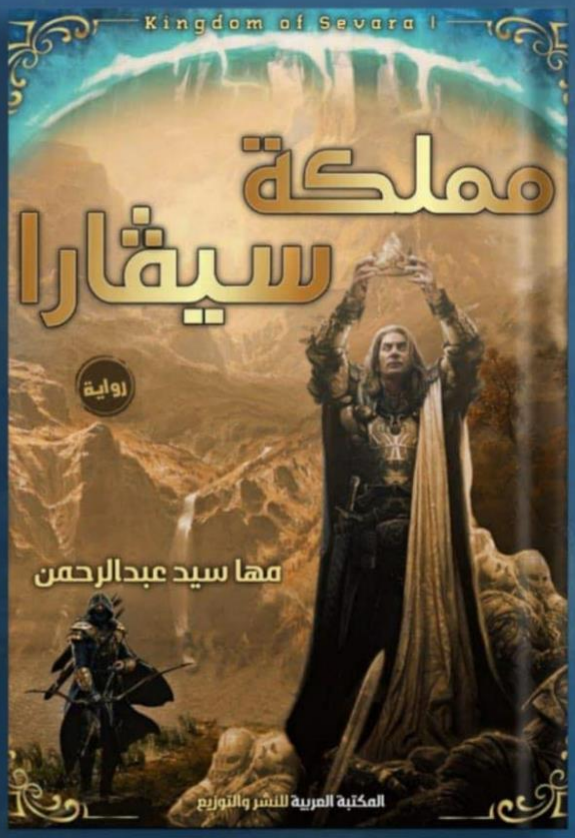

Cover designed by:

AMANY MAHMOUD